## هذه اللمحات:

الفكر الحداثي أو الفلسفة الحداثية، مصطلح تسلل من بين الأفكار الفلسفية الزائلة أمثال الماركسية والاشتراكية والشيوعية وغيرها، وقام على أنقاضها متبعاً المنهجية ذاتها التي قامت عليها تلك الأفكار الإلحادية في محاولة لصرف الانتباه عن الأديان التوحيدية وإرجاع الإنسان إلى القوانين الوضعية التي تستند إلى آراء الإنسان القاصرة، ومحاولة رسم حياةٍ مادية صرفة للإنسان وإيهامه بأنها أساس سعادته وإقامة مستقبل سعيد مفترض.

وبقدر ما كانت هذه الفلسفة معقدة البناء والطرح وما أتى بعدها من مصطلح سمي بـــ(مابعد الحداثة) على يد المؤرخ البريطاني توينبي في منتصف الخمسينات من القرن الماضي فإن الفكر الحداثي سرعان ما تهاوى أمام الفكر العقيدي الحق والرسالة الإلهية التي أراد الله تعالى لها ان تكون الدرع الحصين للإنسان من هذه الهجمات الفكرية.

وقد تصدى لهذه الأفكار المنحرفة ثلة من العلماء الكبار ممن حملوا لواء العلم النبوي مستمدين من كتاب الله تبارك وتعالى ووحيه ورسوله(ص) وأهل بيته(ع) الطرح الفكري الرصين والحقيقي الواضح، ومنهم سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد صدر الدين القبانجي(دامت بركاته) والذي

دأب في الكثير من المحاضرات الفكرية والمحاور الدراسية على تفنيد ما جاءت به الحضارة الغربية من شبهات تحاول استمالة الشباب المؤمن إلى طريق الضلال، فكانت له المحاضرات الفكرية القيمة في الجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام المهدي(ع) النموذجية، وندواته الشهرية مع طلبة وفضلاء الحوزة العلمية، وبأسلوب متفرد اعتمد على بساطة الطرح وعمق الرؤية وشمولية الفكرة.

وهذا الكراس الذي بين أيدينا هو لمحات في دحض تلك الشبهات للفكر الحداثي كان سماحته قد ألقاها في مناسبات عدّة في خطب صلاة الجمعة المباركة لتوعية المؤمنين وعلى مختلف المستويات ناشداً إيصال صوت الإيمان لهم.

وها نحن نضعها هنا بالنص الذي ورد من سماحته لشمول الفائدة ولتكون مفاتيحاً لمن يروم التوسع فيها.

**والله المستعان** الناشر

(اللمحة الأولى )

## السعادة بين الحداثة والإسلام

حينما ننتقد الفكر الحداثي لا نقصد بذلك الوقوف ضد التقدم العلمي بل الإسلام مع التطور العلمي والتقني، وإنما نقصد نقد الفكر الحداثي الفلسفي، الذي يضع نفسه بديلاً عن الفكر الديني

### السعادة في الفكر الحداثي

إن أول أصل من أصول الفكر الحداثي هو التأكيد على إن سعادة الإنسان تتحقق من خلال إتباعه للنزعة المادية وإن هذا الإنسان عندما يولد إلى ان يصل إلى مرحلة البلوغ تتحكم فيه نزعة مادية واحدة نحو الراحة، والمنفعة، والحرية، وما عدا ذلك من القيم والاعتبارات هو ركام ويجب إزالته، وإن هذه النزعة هي وحدها الأصيلة والإنسان إذا أراد أن يكون

سعيداً فإن عليه أن يسعى خلف هذه الدوافع الثلاث نحو الراحة، والمنفعة والحرية.

يأتي الإسلام في مقابل هذه الفكرة ليطرح لنا النظرية الصحيحة التي يرسم بها الطريق نحو السعادة الحقيقية فيقول إن السعادة ليست من خلال أتباع النزعة المادية وحدها لأن الإنسان لديه أربع نزعات حقيقية أصيلة في وجوده وهي:

أولاً: النزعة المادية المذكورة آنفاً.

ثانياً: النزعة الاجتماعية وهي إن الإنسان ابن مجتمعه ويريد إقامة علاقات إنسانية، وأحداث تجانسٍ مع الآخرين، والاحترام المتبادل وبناء الأسرة، وليس البحث عن حرية والفردانية الذاتية فقط، وهذا المجتمع يفرض عليه استحقاقات ليست كاذبة ولا وهمية بل هي أيضاً من منطلق نزعة أصيلة في الإنسان نسميها النزعة الاجتماعية.

ثالثاً: النزعة الدينية، إن الإنسان مؤمناً كان أم غير مؤمن يميل بنزوع فطري نحو المطلق الذي يستظلون بظله وهو اللّه تعالى، وكل فرد يريد الركون إلى لحظة من لحظات الاستقرار إلى مصدر الوجود وهو القدرة المطلقة، والإنسان المادي اليوم مهما يركض وراء الشهوات لكنه يجد نفسه ظمآن وغير مرتوٍ، ولهذا فأن البشرية رغم خوضهم في المادية والنفعية لكنهم يريدون لحظات يأنسون فيها إلى المطلق ويستكينوا إلى الصفاء الروحي سواء في كنيسة، أو مع صنم وما شاكل ذلك، فنزعة الارتباط بالمطلق والذي هو مصدر الخيرات هذه نزعة أصيلة في الإنسان.

رابعاً: النزعة الأبدية، وهي أن الإنسان مؤمناً كان أم كافراً لديه نزعة فطرية ذاتية نحو الحياة الأبدية ويفكرون لما بعد الدنيا، ويقول الإسلام عن هذه النزعة إنها ليست من تعليم علماء الدين للبشر بل هي نزعة ذاتية، والإسلام يريد أن يشبع بنا هذه النزعة الذاتية من خلال إيماننا بالحياة الأخرى

واستعدادنا لها من خلال الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، والنتيجة أن السعادة من خلال تكامل الإنسان في نزعاته المادية، والاجتماعية، والدينية، والأبدية، وليس فقط من خلال النزعة المادية كما تقول الحداثة، الله تعالى يقول{وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً}[1] فأصحاب النزعات المادية يريدوكم أن تنحرفوا عن جادة الكمال والاستقامة والفكر الإسلامي الجميل.

[1] - النساء ٢٧

(اللمحة الثانية)

## الحياة الأصيلة بين الحداثة والإسلام

الحديث عن ماهي الحياة الأصيلة وما هي الحياة المجازية؟

المطروح اليوم في الفكر الحداثي أن هناك حياة أصيلة وحياة مجازية، والحياة الأصيلة هي ما كانت تهتم بالقضايا الحقيقية وهي عبارة عن غرائز الإنسان والشهوات من جنس، وحرية، ومنفعة، وجاه، أما سواها فهي قضايا اعتبارية وهمية كالأخلاق، وآداب مجتمع، وحسن الجوار، وصلة الرحم، والمساواة، والإحسان، وهذه كلها قشور بحسب هذه الرؤية، والذي يفكر بهذه الحياة فهو مخدوع.

في مناقشة هذه الرؤية علينا ان نتساءل عمّا هي القضايا الحقيقية، الإسلام يشير إلى مجموعة قضايا حقيقية مثل البقاء بعد الدنيا فهو قضية حقيقية والآخرة هي انعكاس

للدنيا(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ)[٢]، وإذا كان هكذا فيجب أن نفكر بهذه كقضية حقيقية، اللّه تعالى بعث لنا رسلاً وأنزل رسالات لهداية البشر وتعريفهم بالطريق القويم {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} وهذه قضية حقيقية وليست كذباً وخداعاً، فإن اللّه تعالى لديه كلام ورسالة بعثها للإنسانية واللّه تعالى لم يخلقنا عبثاً مثل ريشة يتلاعب بها الهواء بل خلقنا لهدف{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى}٣ فهناك هندسة ومخطط، وخارطة طريق وأنه لم يخلق عبثاً.

## المجتمع مناخ تكامل الإنسان

يشير الإسلام إلى إن المجتمع هو مناخ تكامل الإنسان والإنسانية، ولا نستطيع أن نحقق إنسانيتنا من خلال العزلة والجلوس في الصوامع كالدراويش ولكن ظهور إنسانية الإنسان تتحقق من خلال علاقاته الإنسانية بمجتمعه، من بر

---

[٢] - الزلزلة ٧
[٣] - القيامة ٣٦

بالوالدين وصلة للرحم، والمساواة وكلها نهي عن العزلة وابتعاد عن الرهبنة.

وكذلك فأن الإنسان يعيش مع أعظم قضية حقيقية أسمها الله الخالق البارئ المصور ولهذه القضية استحقاقاتها عليه، والموت أيضاً قضية حقيقية وليست خيالية.

والإسلام يقول إن الحياة الأصيلة هي التي تهتم بهذه القضايا الحقيقية، والدنيا مزرعة الآخرة وبمقدار ما تكون الدنيا مزرعة الآخرة فهي أصيلة وبمقدار ما لم تزرع شيئاً فإن عمرك قد ذهب سدى ولهذا يقول أحد العرفاء:

أيها القوم الذي في المدرسة - كلَّما حصَّلتموه وسَوسه

كلُ عمرٍ ضاعَ في غير الحبيب - لم يكن فيه من الخير نصيب

كل عمر بعيد عن العلاقة بالله العظيم هو عمر مجازي{كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ نَّهَارِ} [4] فالحياة الأصيلة

[4] - يونس ٤٥

هي التي تهتم بهذه الواقعيات ولهذا الإسلام يربينا على أن تكون حياتنا أصيلة ودائماً نفكر ونتذكَّر (أن الموت حق والقبر حق وسؤال منكر ونكير حق والنشور حق وتطاير الكتب حق والجنة حق والنار حق والميزان حق والصراط حق وأن الله يبعث من في القبور).

الحياة الأصلية في الإسلام هي ما كانت حياة مزرعة إذا صح هذا التعبير، وبين الحداثة تقول هي حياة المنفعة.

(اللمحة الثالثة)

## موضع العقيدة في شخصية الإنسان

الحديث عن موضع العقيدة في شخصية الإنسان وهل للعقيدة موقع في شخصيته أم ان العقيدة والفكر هي قضية هامشية وجانبية؟ وهذا الموضوع مهم جداً وقد أعطى الإسلام العقيدة الفكرية أهمية بالغة في تقييم شخصيات الإنسان، فقال اللّه تعالى في كتابه الكريم{الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٥]، فها هو الإيمان والتقوى الذي يمنح الإنسان الفوز في الدنيا والآخرة، بل أن الفكر هو الذي يعني للإنسان إنسانية أو يسلب عنه الإنسانية، لاحظ قوله تعالى(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[٦]فهاهو الكفر قد جعلهم في المفهوم القرآني بمستوى الدواب.

---

[٥] - يونس ٦٤
[٦] - الانفال ٥٥

أمَّا رأي الحداثة فهو انه لا فرق ان تكون مؤمنا أو كافراً، بل ان العقيدة ليس لها أثر في شخصية الإنسان وهي مثل لون البشرة لا تأثير له في واقع الشخصية، وهي مثل أي نظرية رياضية، أو فلكية، أو فلسفية، ان كنت تعتقد بأن الأرض تدور حول الشمس، أو ان الشمس تدور حول الأرض، فمهما يكن القول في النظرية صحيحة أو تلك خاطئة لكن ليس لها أثر في شخصية الإنسان، فأي اعتقاد تعتقده في مسألة جغرافية، أو سياسية هذا لا دخل له في شخصية الإنسان وإنسانيته.

رأي الحداثة ان الدين ليس له علاقة بشخصية الإنسان وإن شخصية الإنسان ليست بعقيدته فليس فرقاً أن تكون مؤمناً أو كافراً، وبمعنى آخر أن دور العقيدة هو دور عرضي وشكلي في شخصية الإنسان.

بينما الإسلام يقول أن موقع العقيدة في شخصية الإنسان وإنسانيته هو موقع أساسي، ذلك إن شخصية الإنسان تتقوم

بركنين هما الركن العقيدي، والركن الأخلاقي{الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ }[7] آمنوا أي العقيدة، وعملوا الصالحات أي السلوك الأخلاقي.

القرآن الكريم يقول في سورة العصر{إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[8] فالعقيدة موقعها أساسي في إنسانية الإنسان ولهذا فأن مستقبل الإنسان يرتبط بحسب النظر الديني يتأثر بعقيدته وعمله الصالح، ويوم القيامة يتقدم الإنسان إلى الجنة من خلال الإيمان والعمل الصالح، فإذا لم يكن لديه إيمان وعمل صالح سيكون حاله كحال المخلوقات الأخرى، ولهذا فأن القرآن الكريم يقول{الَّذِينَ آمَنُواْ} هذا ركن العقيدة {وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} هذا ركن الممارسة العملية، هؤلاء{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ}[9] هذا هو النظام الذي ركَّب الله تعالى عليه الإنسان ومستقبله، بينما تقول الحداثة أعبد ما شئت أن تعبد فهذا ليس له موقع في شخصية الإنسان، ولكن

---

[7] - الرعد ٢٩
[8] - العصر
[9] - يونس ٦٤

المهم فيها هو كم تستطيع أن تربح من المنفعة سواء من الإيمان أو الكفر فإذا نفعك الكفر أذهب وصر كافراً، وإذا ربحت من عبادة اللّه أذهب وأعبد اللّه فالمقياس هو الربح وكم تؤدي هذه العقيدة والنظرية التي تعتقد بها إلى منفعتك في الدنيا وكم تؤدي إلى عدم المنفعة.

الإسلام يقول أن المنفعة الدنيوية ليست هي المقياس، بل الإيمان والعمل الصالح هو المقياس{وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} نسأل اللّه تعالى أن يجعلنا من المؤمنين، وممن عرف الحقيقة ومن المهم أن يعرف الإنسان الحقيقة والذي لا يعرفها يخسر(اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه والباطل باطلاً فاجتنبه).

(اللمحة الرابعة)

## محورية الإنسان، أم محورية الله تعالى؟

نتناول في هذا الموضوع بحثاً ساخناً وحضارياً بين الإسلام وبين الفكر الحداثي فالعالم اليوم يطرح نظرية تسمى نظرية (محورية الإنسان) بينما أهل الأديان التوحيدية لديهم نظرية تسمى نظرية (محورية الله)، أي إن الله يكون هو المحور الذي تدور حوله الاهتمامات، ولذا يقول الحداثيون أن حرية الإنسان في الفكر الديني مكَبّلة لأنكم لم تحترموا كرامته وأصبح مقيداً بالأغلال في ضوء النظرية الدينية.

الفكر الحداثي يرفض نظرية محورية الله بل يطرح نظرية محورية الإنسان التي تقوم على أساس إطلاق الحرية له بلا حدود، ومحورية الإنسان تعني أن لا نقبل قيداً للإنسان من خارج إرادته فهو المحور والأصل وهو رئيس الدائرة فلا يملي عليه شخص أشياءً، وقد الغرب هذا المشروع، ولكنه الآن

بدأ بالعودة إلى اللّه تعالى ولابد من الالتزام بالحدود الإلهية ويترك هذا الجدل.

النظرية الإسلامية تقول من الخطأ جعل محورية اللّه في مقابل محورية الإنسان بل يجب عرض النظرية الإسلامية عرضاً صحيحاً، فالإسلام لا يجعل اللّه تعالى في مقابل الإنسان ولا الإنسان في مقابل اللّه تعالى، وإنما الإنسان المكّرم المعزز هو خليفة اللّه تعالى على الأرض وبهذا نكون قد جمعنا بين محورية اللّه تعالى ومحورية الإنسان. الإنسان هو محور الاهتمامات لكن على أساس خلافته للّه وأخذ الصلاحية منه تعالى وليس محوراً مطلقاً، ولكن المشكلة هي أن هذه النظريات الإسلامية الصحيحة قد تعرض بشكل غير دقيق، فحينما نقول أن الإسلام يؤمن بنظرية محورية الإنسان يقال أنكم تستعبدون الإنسان، وهذا تكبيل الحرية والإرادة، ولكن القرآن الكريم يشرح النظرية بشكل دقيق يقول{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ

نَفْسَهُ} [10] فهو لا يجعل اللّه تعالى بعيداً عن الإنسان بل الإنسان هو المحور ولكن إذا تعدى حدود اللّه فقد ظَلَم نفسه، فاللّه هو الأصل وإنما ينجح الإنسان من خلال رعاية الحدود الإلهية(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا) [11] فاللّه تعالى لا يستفيد من طاعاتنا ولا تضره معصيتنا، يمكن أن نضرب لذلك مثالاً سائق السيارة فإن محوريتها وقيادتها بيد السائق لكنها ليست محورية مطلقة بل هناك قوانين وإرشادات وعلامات مرورية ونظام السياقة السيارة لا يجوز له تجاوزها، إذن هي محورية موجّهة، وليست محورية مطلقة للسائق، ومن البراعة ان يستخدم السائق محوريته هذه ويوصل الركاب بأمان، وليس من البراعة ان يسير كيفما يشاء.

كذلك طالب الجامعة حيث لا تريد الجامعة ان تقمع إرادته بل الأستاذ مهتم بنجاح الطالب ولكنها ليست بمعنى ان محورية

[10] - الطلاق ١
[11] - فصلت ٤٦

الطالب الجامعي مطلقة، يأتي إلى الجامعة ويخرج منها متى ما أراد بل هي المحورية الموجّهة نحو النجاح، والخاضعة لضوابط الجامعة ولا يقال ان هذا كبت لحرية الطالب.

فحينما نعرض نظرية الإسلام عرضاً واضحاً تكون المسألة مقبولة فالإسلام يقول أنت أيها الإنسان المحور في هذه الأرض لكن الذي استخلفك لخلافة الأرض هو الله تعالى لابد ان تراعي حدوده فهي إذن ليست محورية منفلتة مطلقة بل محورية موجهة.

خطئان للتعامل مع هذا الموضوع وأمر واحد صحيح

**أولاً**: إغلاق منافذ الحرية ومصادرة الإرادة الفردية، هذا أمر خاطئ ومرفوض كما قد يمارسه الأب مع أبنه حين لا يسمح له ان يذهب إلى المدرسة مثلاً والزيارة والمسجد والحديقة بعنوان الخوف عليه.

**ثانياً**: إطلاق منافذ الحريات وهي ان تترك الباب مفتوحاً لأنماط التصرف بلا عقلانية.

**ثالثاً**: الإسلام يفتح منافذ الحرية لكنه يضع نظاماً للوقاية من الأمراض والتلوث الفكري والسلوكي والنفسي فتكون عبارة عن حرية موجّهة.

(اللمحة الخامسة)

## حقوق المرأة والفكر الحداثي

نتحدث في هذه اللمحة عن (الإسلام والمرأة) فالإسلام هو الداعية الأول لحقوق المرأة بينما يقال الآن في الفكر الحداثي ان الإسلام ليس فيه حقوق للمرأة ولا حقوق للإنسان.

نحن نؤكد على مجموعة أفكار نذكرها كخطوط عريضة:

**أولاً**: الإسلام هو الداعية الأول لحقوق المرأة، لكن يجب ان نميّز بين ماهو المصطلح-حقوق المرأة- وماهو واقع المشروع، صحيح ان هذا المصطلح وهذه العبارة غير موجودة في الإسلام، فهذه مصطلحات جديدة مثل حقوق الإنسان، والحرية الإعلامية وما أكثرها، ولكننا نتحدث عن مشاريع ومفاهيم وليس فقط كلمات ومصطلحات.

إن مشروع حقوق المرأة بدأً من إعلان ميثاق حقوق الإنسان في القرن الماضي وبدأ يتفاعل على الأرض لكنه كمصطلح (حقوق الإنسان) غير موجود في الأدبيات العربية والإسلامية، ولكنه موجود كمشروع ويجب ان نميّز بين ما هو مصطلح وما هو المشروع.

الإسلام قبل(١٤٠٠) سنة يوم كانت المرأة لا تُعتبر من الجيل الإنساني وكان الإسلام يصيح بأعلى صوته ان المرأة إنسانة مثلك أيها الرجل، لكن لنعود قبل هذا الزمان لنرى الإسلام ماذا فعل أوربا التي كانت في ظلام ماذا فعلت؟ أوربا في القرن الماضي بدأت تنادي بحقوق المرأة بينما كانت قبل ذلك في ظلام دامس تجاه المرأة، والإسلام قبل(١٤٠٠) سنة عاماً يقول في القرآن الكريم (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[١٢] فأي عشرة بغير المعروف محرمة مثل الضرب والتحقير، والإسلام يقول(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم)[١٣]

---

[١٢] - النساء ١٩

[١٣] - الطلاق ٦

مثلما تريد ان تجلس في بيت مرتّب فالمرأة تريد بيتاً مرتّباً، ويقول القرآن كذلك(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)[14] مثلما أنت ولي عليها هي أيضاً ولية عليك، فليس الرجل مسلّط على المرأة ولا المرأة مسلّطة على الرجل، بل هي حياة مشتركة، وقال أيضاً(خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)[15] فالمرأة من نفس الرجل، والرجل من نفس المرأة، فإذا احتقرتها تكون قد احتقرت نفسك لأنها من نفسك وأنت من نفسها، وهذه قمة المساواة والتشريعات الإسلامية تنطلق من ذلك(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً)[16] حب ومودة ورحمة وليس غلظة وقسوة.

---

[14] - المائدة ٥١

[15] - الروم ٢١

[16] - الروم ٢١

## نموذج تأريخي

هذه أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطيار الذي كان قد أذن له رسول اللّه(ص) أن يهاجر إلى الحبشة وبعد رجوعه أيام فتح خيبر دخلت أسماء على نساء النبي(ص) فسألتهن: هل نَزَل فينا نحن النساء شيء من القرآن؟

فقلن: لا.

فجاءت إلى رسول اللّه(ص) وقالت: يا رسول اللّه ان النساء لفي خيبة وخسارة.

فقال(ص): لماذا؟

قلت: لأنهن لا يُذكرن بخير كما يُذكر الرجال.

هنا نزل قوله تعالى(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[١٧] لقد كان هذا الحدث قبل(١٤٠٠) سنة، حيث نلاحظ التقدير الإسلامي للمرأة.

طبعاً يجب علينا ان نميّز بين ما هي النظرية وما هو التطبيق، حيث ان شعوب العالم الثالث ما تزال المرأة مظلومة فيها، وهذا ليس في المجتمعات الإسلامية وحدها بل في كل شعوب العالم الثالث، فجاء الإسلام لكي يخفف عنها الظلم، وربما استطاع ان يخفف (٥٠%) ولولا الإسلام لكانت المرأة مظلومة (١٠٠%) جاءت الثقافة الإسلامية وأنقذتها بنسبة كبيرة، أما اتهام الإسلام بأنه لم يعط حقوقاً للمرأة فهذا ظلم، نعم ان المرأة لم تأخذ حقوقها في مجتمعات العالم الثالث، كما هو في مجتمعات العالم الغربي والأوربي إلى القرن الماضي وإلى الآن لم تأخذ حقوقها الكاملة، لكن

---

[١٧] - الاحزاب ٣٥

علينا التمييز بين ما هي النظرية وما هو الواقع التطبيقي الذي لا يتحمل الإسلام مسؤوليته.

(اللمحة السادسة)

## الإسلام وحقوق الإنسان

هناك بحث عن الإسلام وحقوق الإنسان حيث يقول الحداثيون ان الإسلام لا يهتم بحقوق الإنسان بينما الحداثة الغربية تهتم بحقوق الإنسان!

وهنا في هذه الإشارة السريعة والموجزة أذكر العناوين فقط حيث نعتقد ان أول من نادى بحقوق الإنسان هو الإسلام وأعظم مقام لحقوق الإنسان قد أعطاه الإسلام حتى ان الفقه الديني يقول ان حق الإنسان أعظم من حق اللّه تعالى، لأنك قد تعصي اللّه ويغفر لك، لكن اللّه تعالى لا يغفر تجاوزك على حق الناس والقرآن الكريم يقول(مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)[١٨]، والحديث النبوي الشريف يقول(حرمة المؤمن أعظم من حرمة

[١٨] - المائدة ٣٢

الكعبة)، ويقول(من أهان لي ولياً فقد أرصد لي فالإنسان إذا حارب عبداً فقد حارب اللّٰه تعالى، فحقوق الإنسان عظيمة في الإسلام، والإمام زين العابدين(ع) قبل(١٤٠٠) سنة لديه رسالة أسمها(رسالة الحقوق) يتحدث فيها عن حقوق الإنسان على نفسه وعلى الآخرين، يقول فيها أيها الإنسان أنت مسؤول عن حقوق أعضائك كاليد والرجل والعين والبطن فلا تفرط بأي حق من هذه الحقوق فأنها يوم القيامة تشكوك، لكن مع الأسف فإن خطابنا الإعلامي ضعيف لم يستطع ان يوصل إلى العالم ماهي حقوق الإنسان في الإسلام، وهناك صورة مشوهة تطرح عن موقع الإنسان في الإسلام، لكن الواقع أنه لم ينادى بحقوق الإنسان ديناً وفكراً بمقدار ما نادى الإسلام بحقوق الإنسان بل إن مهمة الأنبياء كانت هي تحرير الإنسان وإعطائه حقوقه المغصوبة، حيث كانت مهمة الأنبياء، ان يحرروا الناس

---

[١٩] - الوسائل ج٨ ص٥٨٨

والشعوب من الطغاة ولهذا فأن القرآن الكريم يقول عن مهمة الأنبياء(وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)[٢٠] فعمل النبي(ص) هو تحرير الشعوب قبل قضية سقوط الأصنام وهذا هو الدين.

نحن في كلمة حقوق الإنسان كما ذكرنا في محاضرة سابقة لا نتحدث عن مصطلحات، فأنت لا تجد في القرآن الكريم كلمة بعنوان حقوق الإنسان، وكذلك في السنة الشريفة ولكننا لا نتحدث عن مصطلحات بل نتحدث عن واقع وفكرة ونظرية، وهذا الواقع هو تبني حقوق الإنسان موجود في الإسلام ومما قبل(١٤٠٠) سنة بأروع ممّا هو موجود اليوم.

---

[٢٠] ـ الاعراف ١٥٧

(اللمحة السابعة)

## علاقة الدين بالإنسان

وصلنا في هذه اللمحة إلى موضوع يطرحه الفكر الحداثي وهو ان الدين عبارة عن مجموعة تكاليف وقيود للحريات، والإنسان يجب ان يتخلص من القيود ومن التوصيات والتكاليف حيث يجب على الإنسان ان يعيش حراً.

يجيب الإسلام عن هذه الشبهة ويقول ان الإنسان يحتاج إلى ترشيد وليس إلى تقييد والدين هو ترشيد للحريات وليس تقييداً، وهذا أيضاً يعيدنا إلى سؤال وهو: أن الإنسان بنظرية كل المذاهب والحضارات هل يحتاج إلى ترشيد أم هو قد بلغ مرحلة النضج والكمال؟

لا يستطيع أحد ان يكابر ويقول ان الإنسان لا يحتاج إلى ترشيد وتهذيب، والإسلام هكذا يقول ان الإنسان يحتاج إلى

ترشيد(يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ )[21] وليس تكبيل الأيدي وتقييد الحريات مثل الطالب الجامعي الذي له خطوط ومناهج يسير عليها ولديه امتحانات لكن ما زال هو طالب جامعي فدور الأستاذ له هو دور الترشيد والمناهج دورها الترشيد ولا يقول قائل أنا طالب حر لا أقبل منهجاً ولا أستاذاً فيقال له متى ما أنهيت الدارسة الجامعة فسوف لا تكون بحاجة إلى مناهج ولكن طالما أنت طالب فأنك تحتاج إلى مناهج.

الإسلام يعتقد ان الإنسان في الدنيا هو بمثابة الطالب الجامعي لم يتخرج من الجامعة بعد كي يستغني عن حركة الأنبياء وعن التهذيب والترشيد وعن أحكام الدين وهذه لمحة عن جواب الإسلام على هذه الشبهة.

---

[21] - الجمعة ٢

(اللمحة الثامنة)

## الإرشاد في الفكر الحداثي

الفكر الحداثي يقول ان الإنسان لا يحتاج إلى وصاية وقيمومة، ولا يحتاج إلى مرشد لا من نبي ولا من غيره فاتركوا الإنسان يجد طريقه في بناء المجتمع وانتخاب التشريع والقانون الذي يريد مثلما هو في الزراعة والصناعة وبالتالي ليس هناك حاجة إلى شريعة وإلى نبوة.

لكن الإسلام يقول أن الإنسان يحتاج إلى مرشد له في طريق التكامل الفردي كما في طريق التكامل الاجتماعي، والله تعالى بعث الأنبياء ليقوموا بهذا الدور (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً)[٢٢] ليس لأن الإنسان ناقص عقلياً لكن الإنسان في مواجهة المجهول الأخروي وعالم الغيب وما بعد الدنيا يحتاج

---

[٢٢] - الاحزاب ٤٥-٤٦

إلى من يكشف له ذلك العالم ويرسم لنا خارطة طريق وهم الأنبياء.

الإنسان في عملية التواصل مع المطلق(الله) والكمال المطلق يحتاج إلى مرشد، البشرية تؤمن بالله لكنهم لا يعرفون الطريق إليه والغرب الآن يؤمنون بالله لكن لا يعرفون الطريق إليه، وهذا ضلال، هنا يأتي الإسلام ويقول أنكم تحتاجون إلى سراج منير وإلى نبوة تدلكم على الطريق.

وهذا ما نعتقد به في هذه المسألة من نقد الفكر الحداثي.

لقد جاء عن إمامنا محمد الجواد(ع) أنه قال: المؤمن يحتاج إلى ثلاث: توفيق من الله تعالى، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه)[٢٣].

أسفي شديد على الذين غرقوا في ضلال الفكر الحداثي وكان سبب ذلك هو ابتعادهم عن فكر أهل البيت(ع).

---

[٢٣] - تحف العقول ٣٣٦

هؤلاء الحداثيون حسبوا إن الإسلام هو ما عبرت عنه تلك المدارس البعيدة عن أهل البيت(ع) ولهذا وقعوا في إشكالات حقيقية، لكن السؤال هو: لماذا أسدلوا الستار على مدرسة أهل البيت(ع) فلو نظروا إلى مدرسة أهل البيت(ع) لوجدوا ان المعضلات التي يطرحها الفكر الحداثي محلولة عندهم، ولكنني كلما أقرأ في كتابات هؤلاء الحداثيين أجدهم متأثرين وواقعين تحت سلطة الانحراف الذي حدث بعد رسول الله(ص) والذي كان سبباً لهذه النتيجة.

(اللمحة التاسعة)

## المصدر المعرفي للإنسان

تحت عنوان (مصدر المعرفة هل هو أحادي أم ثنائي؟) نتحدث اليوم عن المعلومة – أية معلومة لدى الإنسان- فلابد ان يكون لها مصدر سواء كانت معلومة حياتية أو عقيدية أو نظرية من النظريات؟

الحداثة تقول ان مصدر المعرفة أحادي وهو عبارة عن الفكر والخبرة البشرية ولكن إذا بقينا مع الفكر الإنساني والخبرة البشرية وحدها فأنها لا تستطيع ان تكشف لنا حقائق وراء دائرة الرؤية البشرية مثل وجود الجنة، والنار، والملائكة ولا أثباتها في المختبرات، لذلك فأن الحداثيين يريدون إسقاط هذه المعلومات الغيبية جميعها من ميزان المعرفة حيث يقولون إننا غير قادرين على إثبات هذه المعلومات بما فيها الوحي الذي يقول عنه الفكر الحداثي

إنها معلومة لا نستطيع الاعتراف بها، أمّا الإسلام فهو يقول ان مصدر المعرفة إثنان هما الخبرة البشرية والوحي الإلهي، وبعبارة القرآن الكريم هما الفكر والذكر، الفكر هو العقل البشري والذكر هو الوحي الإلهي(إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)[٢٤] الإسلام لا يعتمد فقط على الخبرة المادية وإنما الوحي هو مصدر عظيم للمعرفة مساحته مساحة اللامرئي ولهذا يأتي الوحي لكي يثبت لنا وجود ملائكة ويوم القيامة وما شاكل ذلك وهذا كله نتعرف عليه من خلال الوحي وليس من خلال الخبرة البشرية، إذن مصدر المعرفة إسلامياً ثنائي وليس أحادي، ومصدر المعرفة وفق الفكر الحداثي هو أحادي.

---

[٢٤] - يوسف ١٠٤

(اللمحة العاشرة)

## تفسير الوحي والنبوة

الفكر الحداثي يقول إننا غير قادرين علمياً على إثبات وجود كائن آخر أسمه ملائكة بل هذه المفاهيم (الملائكة والوحي) هي من إنتاجات شخص النبي(ص) وإنما جاء القرآن يتحدث عن الملائكة لأن الجو الثقافي يومئذ يتحدث عن الجن، والسحر، والحسد والملائكة والكهنة وما شاكل ذلك فجاء القرآن في نفس السياق الفكري فقال ان هناك وحي وملائكة ولكن هذه ليست حقائق واقعية ونحن غير قادرين على إثباتها علمياً.

الحداثيون الإسلاميون -بالخصوص- يقولون نحن نؤمن بالإسلام ولكن الوحي هو عبارة عن إلهامات داخلية لدى شخص النبي(ص) والملائكة كائن أسطوري لا حقيقة له

لأننا غير قادرين بأدواتنا العلمية التجريبية ان نثبت ذاك الكائن.

أمّا العقيدة الإسلامية الصحيحة فهي ان البعثة النبوية تعبر عن أربعة أركان:

الركن الأول: المرسِل وهو اللّه تعالى

الركن الثاني: الرسول وهو النبي(ص)

الركن الثالث: الرسالة التي حملها جبرائيل(ع) إلى النبي(ص).

الركن الرابع: المرسَل إليه، وهم الناس الذين بُعث الرسول إليهم(ص)

هذه أربعة أركان للاعتقاد بالنبوة ومن لا يؤمن بهذه المعاني فهو لا يؤمن بالنبوة.

أما كيف نثبت وجود الملائكة والوحي بالأدلة التجريبية وفي المختبرات طبعاً لا نستطيع ذلك، إلا إن هناك منهج آخر للفطرة البشرية هو الدليل الاستقرائي ومن خلال الشواهد والقرائن والعلامات والآيات التي تؤكد بأن هنا ارتباط بين هذا الإنسان-وهو النبي- وبين عالم الغيب، بهذا الطريق نثبت الوحي كما نثبت أن للإنسان عقل وروح فليس ذلك عبر الأدلة التجريبية بل عبر الشواهد والقرائن والأرقام الحسيّة نقول ان هذا لديه روح وعقل.

(اللمحة الحادية عشرة)

## الموقف تجاه المعلومة الغيبية

نتناول محوراً آخراً في نقد الفكر الحداثي وهو الموقف تجاه المعلومة الغيبية حيث ان هناك معلومة حسية وأخرى غيبية، فأنت ترى السماء والنجوم والقمر والحياة والموت والبشر والمرض والصحة والزراعة والصناعة وهذه معلومات حسية لكن هناك معلومات غيبية كالملائكة والشياطين والجنة والنار والصراط والميزان والمحشر وتطاير الكتب وهذه المعلومات نسميها المعلومات الغيبية والسؤال: ماهو تقييمنا للمعلومات الغيبية؟

الفكر الحداثي يرفض المعلومة الغيبية غير المشهودة كالجن وأبليس والشياطين والعرش والكتاب واللوح المحفوظ، لأن هذه المعلومات الغيبية أتت من وراء العالم المحسوس ولهذا يرفضها، وإذا جاءت هذه المفاهيم في

القرآن الكريم فأن الحداثيين يقومون بتأويلها إلى معانٍ أخرى.

بينما الإسلام يؤمن بالمعلومة الغيبية، بل هي أصل الإسلام لأن الدين يؤمن بعالَمين هما عالم الشهادة أي المحسوسات وعالم الغيب وهو عالم ما وراء الحس والمشاهدة، ومن لا يؤمن بعالم الغيب فهو خارج من الدين أصلاً لأن الدين قائم على الإيمان بالغيب(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) وهي أول صفة من صفات المؤمنين والتي يترتب عليها(وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[٢٥].

هل تملك الحداثة دليلاً على نفي المعلومة الغيبية؟

الجواب: لا، لأن الحداثة العلمية –مثلاً- غير مستعدة لأن تنفي وجود كائنات حية في المريخ أو سائر الكواكب لأنها تقول أنا لا استطيع نفي وجود حياة على كواكب

[٢٥] - البقرة ٣

أخرى ما لم أطلع على الواقع هناك، والعلم لا ينفي وجود أمور هي غير داخلة تحت تجربته، إذن كيف تسمح الحداثة لنفسها ان تنفي عالم ما وراء الرؤية والمشاهدة؟ ذاك عالم ما وراء الرؤية فما هو الدليل على نفيه؟

والحداثة لا تملك دليلاً على هذا نفي، وستقول الحداثة ماهو دليل الإسلام على وجود عالم الغيب؟

الجواب: نحن نعتقد ان المعلومة الغيبية معلومة ثابتة بالبرهان وليست أسطورة فالإسلام لا يعترف بوجود شيء بدون برهان علمي، والبرهان العلمي هو الذي يعتمد على جمع الشواهد الدالة كما هو في أي شيء علمي آخر، والأنبياء -بعد تصديقهم- هم الذين أخبرونا وبشكل يقيني بوجود عالم الغيب، ونحن حينما انفتحنا على عالم النبوة وآمنا بالنبي فما يحدثنا به النبي يجب التصديق به وقبول تلك المعلومات نحن نؤمن بالمعلومة الغيبية على اعتبار إنها معلومة قرآنية مبرهنة وليست معلومة غير مبرهنة.

(اللمحة الثانية عشرة)

## الإيمان قائم على أساس الحرية أم العبودية؟

نتحدث عن عنوان (الإيمان قائم على أساس الحرية أم العبودية؟)

الحداثة تقول أن الإيمان قائم على أساس الحرية وبالتالي نحن أحرار في أن نؤمن أو لا، نؤمن بالإسلام أو النصرانية، أو نريد عبادة بقرة، المهم أن نتخذ موقعاً عقائدياً قائماً على أساس الحرية لأن القرآن الكريم يقول (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) وهذا في مقابل العبودية التي هي عبارة عن استعباد وذل وتقييد فكري وفرض الرؤية من أعلى.

هذا كلام جميل في أول وهلة لكن ماهي الحقيقة؟ أية حرية وأية عبودية؟ فإذا كان الحديث عن العبودية لله تعالى والحرية عمّا سوى الله فنحن نقول إن الإيمان قائم على أساس الطرفين معاً الحرية والعبودية كي لا يزايدوا علينا

في الحرية فالإيمان قائم على أساس الحرية مما سوى اللّه تعالى وقائم على أساس العبودية للّه تعالى فـ(لا إله..) تعني الحرية عن غير اللّه تعالى و(إلا اللّه..) تعني العبودية للّه تعالى(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ)[٢٦] فالإنسان هو عبد اللّه تعالى وصحيح أحرار بالمقارنة مع بقية المخلوقات لكنهم مع اللّه تعالى هم عباد للّه وأذلاء له، والإسلام في مجال العلاقة مع اللّه تعالى يدعونا لممارسة طبيعة علاقة الضعيف مع القوي، والذليل مع العزيز، والفاني مع الباقي، والفقير مع الغني، وليس علاقة الندّ بالندّ، فهذا منطق غير صحيح، نحن نتحدث عن قضية إنسانية واقعية فالحرية المطلقة بلا حدود ليست كرامة لنتخذ بها فهؤلاء يخدعون الناس حينما يتحدثون عن حرية مطلقة، فقل مثلاً لطالب من الطلاب أنت حرّ بالحضور وعدمه، والأب يقول لأبنه أنت حرّ لا فرق عندي ان تكون معي أو لا تكون، والموظف في الدائرة يخيّره مديره ان

---

[٢٦] - مريم ٣٠

يعمل أو لا يعمل، هذه حرية مطلقة لكن معنى ذلك إن هكذا إنسان هو كمية مهملة لا قيمة لها.

فالإيمان قائم على أساس الحرية عن سائر المخلوقات لكن مع اللّه هو عبد للّه واللّه يريده حاضراً في شهر رمضان وفي الحج وسائر أحكام الشريعة والصلاة والزكاة وغيرها ولو لم تكن أيها الإنسان عند اللّه محبوباً لتركك كباقي الحيوانات التي لا عقل لها، فالإيمان قائم على أساس الحرية عن غير اللّه تعالى والعبودية للّه وحده وهذه كرامة وليست إذلالاً ولذا جاء في مناجاة الإمام علي(ع) (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً) فالعبودية للّه هي الارتباط بالمطلق ارتباط بالقدرة الكبرى والدنو منها وهذا هو الشرف العظيم ان نكون مصداقاً لقوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعي إِذَا دَعَانِ)[٢٧]

---

[٢٧] - البقرة ١٨٦

(اللمحة الثالثة عشرة)

## النقد العلمي بين الجدل والتدبّر

نتناول في هذه اللمحة من نقد الفكر الحداثي عنواناً جديداً هو (النقد العلمي بين الجدل والتدبّر).

يقول الحداثيون ان الإنسان يجب ان يجادل وينتقد علمياً كل شيء ولا يقبل بأية معلومة إلا ان يناقشها فشعار الفكر الحداثي هو نقد كل شيءٍ وعدم القبول بشيء إلا إذا انتقد نقداً علمياً كي نقبله عقلياً.

وهذا الكلام في إطاره الأول صحيح ومقبول، حيث ان كل معلومة لا يجوز ان نقبل بها إلا بعد ان نناقشها علمياً، والقرآن الكريم يؤيد هذه الفكرة فيقول(قُلۡ هَاتُواۡ بُرۡهَانَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَادِقِينَ)[٢٨] ويقول (فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِ عِلۡمٌ)[٢٩].

---

[٢٨] - النمل ٦٣

[٢٩] - آل عمران ٦٦

الإسلام مع النقد العلمي ولكن ليس مع الجدل التشكيكي (وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)[٣٠] أي يكثر النقاش بجدل تشكيكي وهذا مرفوض بمعنى الاعتراض على الحقيقة، حتى إذا أعطي برهاناً ودليلاً(الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ)[٣١] بل مجرد ثرثرة علمية، هذا جدل منهيٌ عنه، والشيء المقبول في الإسلام هو الجدل العلمي بمعنى النقد العلمي الموضوعي(وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[٣٢] ولم يقل الإسلام جادل فقط لغرض الجدال بل بالتي هي أحسن(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[٣٣] بمعنى النقد العلمي الذي هو بمعنى التفكّر والتدبّر وليس بمعنى التشكيك إلى ما لا نهاية.

وهذا هو مثل الفرق بين سؤال أبليس وبين سؤال الملائكة، لمّا أمر اللّه تعالى الملائكة بالسجود لآدم وقال(إِنِّي جَاعِلٌ

---

[٣٠] - الكهف ٥٤
[٣١] - غافر ٣٥
[٣٢] - النحل ١٢٥
[٣٣] - العنكبوت ٤٦

فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[٣٤]! سألت الملائكة سؤالاً(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء)[٣٥]، فأجابهم الله تعالى(قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)، لكن أبليس اعترض(قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ )[٣٦] أي كان سؤالاً تشكيكياً وليس نقداً علمياً بل جدلاً أنانياً بغير سلطان وبرهان، فهناك من لا يريد أي دليل بل يجادل لمحض العصيان، أبليس كان جداله تكبّراً(إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)[٣٧]، وهذا الجدل حرام.

الإسلام يقول ان النقد العلمي بمستوى التدبّر(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ)[٣٨] شيء جيد، ولكن ليس بمستوى التكبّر على الحقيقة، ومشكلة الحداثة اليوم إنها تلقن الإنسان حالة الجدل وعدم القبول إلا بما يعجبه هو على خلاف التربية الإسلامية التي تعلّم الإنسان النقد مع الطاعة، فلا مشكلة بالنقد لكن معه

---

[٣٤] - البقرة ٣٠
٣٠- الأعراف ١٢

[٣٧] - الحجر ٣١
[٣٨] - محمد ٢٤

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)[39] وقال تعالى(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ)[40] أي ان هناك مبدأ (فأتبعوني) وهذا المبدأ مفقود في الفكر الحداثي، والإسلام يقول عن صفات المؤمنين أنهم يناقشون لكن يرفضون معه القول السيئ ويتبعون القول الحسن(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)[41] إذن هذا نقد علمي.

أما الفكر الحداثي فهو لا يدعو إلى النقد العلمي الموضوعي بل يدعو إلى التطرف والجدلية التشكيكية التي تخضع للأنا والهوى(قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)[42] وهذه أنانية وجدل شيطاني.

---

[39] - محمد ٣٣
[40] - آل عمران ٣١
[41] - الزمر ١٨
[42] - الأعراف ١٢

(اللمحة الرابعة عشرة)

## موقع المؤسسة الدينية وشبهة احتكار الحقيقة

في سلسلة أحاديثنا في نقد الفكر الحداثي بشكل مختصر نتناول اليوم لمحة أخرى حول **(موقع المؤسسة الدينية وشبهة احتكار الحقيقة)**.

يقول الحداثيون أن علماء الدين يحتكرون الحقيقة ولا يتركون أحداً يجتهد ويعطي رأيه، والاجتهاد حكر فقط على الفقهاء، ثم يقال ان المؤسسة الدينية التي هي عبارة عن الحوزة العلمية هم من يحتكرون معرفة الدين.

الإسلام يقول عن موقع المؤسسة الدينية ما يلي:

**أولاً**: الإسلام يدعو إلى التخصص الفقهي الذي لابد منه، يقول القرآن الكريم(مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ) من كل منطقة ومدينة يذهب أفراد ليكونوا فقهاءاً، وليس كل

الناس وهذا هو ما دعا له الإسلام، ومبدأ التخصص هو قضية علمية موجودة في الهندسة والطب وكل العلوم، فلا يمكن ان يكون كل الناس أطباء أو مهندسين وما شاكل ذلك.

**ثانياً**: التمييز بين التخصص الفقهي واحتكار الحقيقة، فحينما نقول تخصص طبي ليس بمعنى إن الأطباء يحتكرون الحقيقة وهكذا بقية العلوم لكنه اختصاص، وأي شخص بإمكانه التقدم ليكون صاحب اختصاص فهناك فرق بين التخصص الذي هو حق في كل العلوم وبين ان لا تسمح لغيرك بالتخصص فهذا احتكار للحقيقة وهو خطأ لكن التخصص صحيح.

**ثالثاً**: باب الاجتهاد والتفقه مفتوح للجميع في منهج أهل البيت(ع) وشيعتهم بالخصوص فإنهم قالوا ان باب الاجتهاد ومعرفة الشريعة مفتوح للجميع ولا يقف عند إمام من أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة وغيرهم.

فهناك رأيان في مسألة الاجتهاد رأي يقول ان باب الاجتهاد مفتوح على مرّ القرون فلا يجوز لنا ان نقلد من عاش في القرن الثالث أو الرابع للهجرة، بل لا يجوز ان نقلد من مات قبل عشرة سنوات وهذا هو رأي الشيعة، والرأي الثاني تقوله المذاهب الأخرى وهو غلق باب الاجتهاد على أئمة المذاهب الأربعة، حينئذٍ نحن نعتقد بأن باب الاجتهاد مفتوح وإذا قلنا بأن الاجتهاد الفقهي قد أغلق في القرن الرابع للهجرة فذاك هو احتكار للحقيقة.

ولهذا يسأل الحداثيون: لماذا يجيز الإسلام لمن عاش في القرن الرابع ان يكون مجتهداً ولا يجوز ذلك لمن هو في القرن الرابع عشر؟

نقول: ان باب الاجتهاد مفتوح للجميع لأن يكونوا أهل اختصاص .

**رابعاً:** لابد من التمييز بين التخصص وبين اتباع الهوى الفكري، أي ان الإنسان عندما يريد ان يكون متخصصاً بالطب فيجب ان يكون متخصصاً ومخلصاً وصادقاً، وهكذا في المجالات الأخرى، فهناك فرق بأن يكون الإنسان متخصصاً أو ان يقذف بفتاوى وآراء بالجملة بحسب هواه، وهذه ليست معرفة للحقيقة، كمن يقول أنا لا أصلي لأن القرآن يقول(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) فهذا ليس اجتهاداً بل هو عدم معرفة وإتباعٌ للهوى، يجب ان نميّز بين إتباع الهوى وبين ماهي الحجة الشرعية بيننا وبين اللّه تعالى وهي العلم مع التقوى، ونفس الأمر مع أي اختصاص آخر كمن يبحث عن شركة مقاولات هندسية فهو يختارها بشرط ان تمتلك أمرين هما العلم والإخلاص، وإذ كان المهندس أو الطبيب لا يملك الإخلاص فلن يراجعه أحد، وبالنسبة للفقيه لابد من علم ومن تقوى وإخلاص وليس مجرد قراءة القرآن وإعطاء الفتوى.

(اللمحة الخامسة عشرة)

**السنة النبوية في الفكر الحداثي**

نقف مع الفكر الحداثي حول ما يتعلق بالسنة النبوية، الفكر الحداثي يقول ان السنة النبوية هي سنة شخصانية تاريخانية:

**الشخصانية**: أي ان هذه الأحكام هي مذاق النبي(ص) الشخصي فلماذا يكون حكماً على كل البشرية!!

**التاريخانية**: وتعني ذلك المقطع من التاريخ الذي عاشه النبي(ص) في ظروف خاصة ومرحلية، إذن لا يمكن ان نحتج بسنة النبي ان هكذا فعل وهكذا لم يفعل!! بل فعل ولم يفعل لزمانه ومذاقه الشخصي، وهذا لا يعني انه كان يعطي تشريعاً على مرّ الزمان، وعلى هذا الأساس أسقطت السنة النبوية من الحجيّة.

ان الفقهاء وعلماء الأصول سجلوا جواب هذه المسألة منذ مئات السنين وهو ان النبي(ص) في سنته له حالتين:

**الأولى:** الحالة الشخصية، وهي ليست حجة علينا ولا نستطيع ان نجعل منها حكماً شرعياً، مثال ذلك ان النبي(ص) يأكل بيده وبأصابعه وهذا ليس موقفاً شرعياً، وكذلك حب النبي(ص) لأكل التمر فهو(ص) بشر وله مذاقه الخاص في الأطعمة وليس بالضرورة أن يمثل ذلك حكماً تشريعياً.

**الثانية:** الحالة التعبدية التشريعية، وهي التي تدلل القرائن عليها إنها حالات تعبّديّة تشريعية، مثال ذلك: ان النبي(ص) كان يغسل يديه قبل الطعام وهي حالة شخصية، ومرة يتوضأ قبل الطعام فكيف نفسر ذلك؟ وهذه ليست قضية ذوقية بل تعبر عن قضية شرعية يجب الالتزام بها فحينما تكون بمثل هذه الالتزامات الواضحة نجد إنها تأخذ منحى تشريعياً، مثلها مثل استقبال القبلة عند النوم، وهذا يعني ان هناك تعبد والتزام، والنبي(ص) يصلي في سفره ركعتين،

وفي حضره أربع ركعات، وهذا لا يمكن ان يفسر كقضية ذوقية، لأنها محفوفة بقرائن على ان النبي(ص) يقوم بعمل تشريعي وهذه الأعمال من الحالة الثانية فيقال عنها إنها سنّة شرعية وليست شخصانية بل نخرج منها حكماً شرعياً فنقول يستحب الوضوء قبل الطعام، ومجرد إن الحداثيين يدعون ان هذه القضايا ممكن ان تكون قضايا شخصية ليس كافياً فالادعاء بسيط لكن ماهو الدليل، فنحن أدلتنا على هذه القضايا ان في ظاهرها أعمال تعبدية، ويقوم بها(ص) بشكل مدروس ومخطط له.

وأما ان تكون سنة النبي سنة تاريخانية أي مخصوصة بأهل زمانه(ص) وبالتالي لا يمكن تعميمها على طول التاريخ، **جواب ذلك**: ان هذا الأمر يصطدم بالبديهة الإسلامية التي أخذناها من رسول الله(ص) وما بعده القائلة بأن التشريعات الإسلامية دائمية وان الإسلام دائمي وخاتمي، وان حلال محمد(ص) حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد(ص) حرام

إلى يوم القيامة، وهذه القضية نراها بديهية في الفكر الإسلامي، وبمئات الدلائل والنصوص التي تؤكد ان الإسلام ليس مخصوصاً بزمن قريش ولا الجزيرة، وممكن يدعي شخص بخصوصية الإسلام، وكما قلنا الادعاء بسيط ولكن(قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَانَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَادِقِينَ) اما الآخر الذي يدعي بأن الإسلام مقطعي تاريخي والحداثة تحاول إسقاط قيمة النبي(ص) ثم إسقاط القيمة الدلالية للقرآن الكريم.